العربي الجديد

هوامش

أعادت الحركة الاحتجاجية لناشطين داخل المتحف الوطني البريطاني الأسبوع الماضي، طرح أسئلة حول تجاهل العالم لحرب الإبادة في قطاع غزة، منذ أكثر من عام

صورة الأم التقطت في مستشفى الشفاء في غزة، 18 اكتوبر 2023 (علي جاد الله/ الأناضول)

احتجاج في المتحف

صورة أمّ غزيّة تحجب أمومة بيكاسو

عمّار فراس

«المملكة المتحدة متواطئة بالإبادة الجماعيّة في قطاع غزة»، هذه العبارة قالها ناشط من منظمة «الشباب يطلب!» البريطانيّة أثناء اعتقاله في الصالة 43 في المتحف الوطني في بريطانيا، بسبب لصقه صورة لأمّ غزيّة وابنها، فوق لوحة بيكاسو «الأمومة» التي تعود إلى عام 1901، بعدها أراقت ناشطة أخرى طلاء أحمر تحتها، قبل أن تظهر قميصاً يحمل عبارة «أوقفوا تسليح إسرائيل». وقال الناشط الذي شارك في الاحتجاج، جاي هالاي: «إنني أتحرك مع منظمة يوث ديماند لأنني رأيت زملائي في مجال الرعاية الصحية يتعرضون للتدمير منذ أكثر من عام. يتعرضون للتدمير بالقنابل والرصاص ويضطرون إلى إجراء عمليات جراحية للأطفال الجائعين دون معدات طبية». وأضاف هالاي، البالغ من العمر 23 عاماً، ويعمل في هيئة الخدمات الصحيّة الوطنيّة في لندن: «نحن بحاجة إلى فرض حظر على الأسلحة على إسرائيل الآن. 87% من الشعب البريطاني يريدون هذا، ولم يسبق لهم قط أن شعروا بخيبة أمل في حكومتنا والطبقة السياسية التي لا تمثلنا. نحن بحاجة إلى ثورة في ديمقراطيتنا». لم تتعرض اللوحة لأي أذى بحسب إدارة المتحف، كونها محميّة بزجاج مضاد للرصاص، لكننا أمام مفارقة صادمة للمتفرجين، خصوصاً أن لوحة تنال من الحماية أكثر ما تناله غزة بأكملها، كما نرى في الصورة التي التقطها المصور الفلسطيني علي جاد الله الذي استشهد تسعة من أفراد عائلته إثر قصف الاحتلال الإسرائيليّ على غزة مطلع حرب الإبادة في أكتوبر/ تشرين الأول 2023.

أكثر من 41 ألف شهيد في غزة، والعالم لم يتحرك، ولم يتّخذ أي خطوة حقيقية لوقف الإبادة بحق الفلسطينيين المدنيين، فهل يمكن لتحرّك مثل الذي حصل في المتحف الوطني في بريطانيا أن يغيّر هذ الواقع؟ الاحتمالات ضئيلة جداً. لكن ماذا عن زعزعة أمن المتحف، هل يلفت النظر إلى غزة؟ ربما، خصوصاً أنّ أولئك المحدقين باللوحات وضربات الريشة ومحاولة التنبؤ بالحكاية وراء اللوحة، ربما، قد يتغير شيء فيهم، يتحول إلى فعل حين يحدقون بصورة أمّ غزيّة تحاول إنقاذ ابنها. حركة «الشباب يطلب!» المتفرعة عن حركة «أوقفوا النفط» لطالما قامت بتحركات شبيهة في المتاحف، سواء برمي الحساء على اللوحات أو الطلاء، لكن هذه المرة الأولى التي تستخدم فيها صورة فوتوغرافيّة، لحدث راهن، وإبادة جماعية مستمرة منذ عام. والمفارقة أنها غطت لوحة لبيكاسو، صاحب الغارنيكا، المستوحاة من قرية الغارنيكا الإسبانية، التي قصفها الألمان، وتضامن سكانها مع قطاع غزة قبل أشهر. نحن إذاً أمام طبقات من المعنى تجعل ما حصل يتجاوز الاحتجاج نحو فن الأداء.

هنا لا بد من استعادة سؤال متكرر، بل أصبح مبتذلاً، في عالم الفن، وهو قيمة العمل الفني أمام الحياة الإنسانية، التي أصبح من الواضح أن قيمة الفن فيها أعلى. لكن إن كان «لا شعر بعد أوشفيتز» بحسب تعبير الفيلسوف الألماني ثيودور أدورنو، فما الذي يستحق النفي بعد غزة؟ الفن؟ الشكل القائم للعالم؟ يمكن القول، إنه بعد إبادة غزة، لا بد من إعادة النظر في كل شيء، الشعر والفن والسينما والمسرح، كل الأشكال القائمة، التي تركتنا متفرجين على إبادة جماعية عاجزين، نلاحق أخبارها يوماً بعد يوم!

إن كانت الأشكال الفنية التقليدية، أسيرة المتاحف، عاجزة عن جعلنا نتحرك لإيقاف إبادة جماعية، فما الجدوى منها سوى القيمة الجمالية والاستغراق في التأمل، وتحميل المتفرج ذنباً؟ كسر «سكينة» المتحف هو أقل ما يمكن القيام به، بينما تهدد إسرائيل ثلاثة مستشفيات في قطاع غزة بالقصف، وتطلب إخلاءها خلال 24 ساعة. لن يوقف إحراق اللوحات الإبادة الجماعية، ولا حتى حرباً عاديّة، لكن تكفي زعزعة السكينة العامة، والقول إن العالم يجب ألا يستمر على ما يرام بينما ماكينة حرب تقتل وتحرق الأرض وتنفي كل احتمالات الحياة. يشمل تعريف جريمة الإبادة الجماعية (أو جرائم الإبادة الجماعية)، من ارتكب الجريمة ومن علم بها ولم يتصرف، على اعتباره جزءاً منها. فكون كل هذه الدول الآن تعلم وتشهد على الإبادة، وكون مئات الملايين من سكان كوكب الأرض يعرفون ويتابعون هذه الإبادة من دون أن يتحركوا، فهل جميعنا شركاء في هذه المجزرة الغزية؟

تبقى مهاجمة المتحف عقيمة في حال لم تتم مهاجمة وتخريب وتعطيل سكينة المؤسسات السياسية والعسكريّة، والعمل من الداخل وتأريق العاملين بها من أجل التصرف، وقطع سلسلة الإنتاج وخطه، وعلى الأقل تأخير الموت ولو لدقائق، أو تعليق نقل السلاح لساعات، ساعات كافية كي ينجو أحد بحياته.

باختصار

لم تتعرض اللوحة لأي أذى كونها محميّة بزجاج مضاد للرصاص، لكننا أمام مفارقة صادمة للمتفرجين، خصوصاً أن لوحة تنال من الحماية أكثر ما تناله غزة بأكملها

■■■

حركة «الشباب يطلب!» المتفرعة عن حركة «أوقفوا النفط» لطالما قامت بتحركات شبيهة في المتاحف، سواء برمي الحساء على اللوحات أو الطلاء، لكن هذه أول مرة تستخدم فيها صورة فوتوغرافيّة لحدث راهن

■■■

إن كانت الأشكال الفنية التقليدية عاجزة عن جعلنا نتحرك لإيقاف إبادة جماعية، فما الجدوى منها سوى القيمة الجمالية والاستغراق في التأمل؟

وأخيراً

نوبل «لترجمة» الآداب

آدم فتحي

كان فوز الكوريّة الجنوبيّة هان كانغ بجائزة مان بوكر لعام 2016 عن روايتها «النباتيّة» سببًا رئيسًا في انتباه كثيرين إليها، وأنا منهم. لم يكن غريباً ألاّ نعرفها. ليس من الممكن ولا من المعقول قراءةُ الجميع، بالنظر إلى تزايد كمّ المنشورات المحليّة والعالميّة وتنوّعها وتعدّد لغاتها ومدارسها وخضوعها لألوانٍ لا تُحصى من المنافسات الشرسة. من ثمّ أهميّةُ الجوائز التي تضع الكتب في قلب الحدث، وتسلّط عليها قدراً من الأضواء، خصوصاً إذا كانت الجائزة ذات مصداقيّة (أو تتقن إيهام جانب كبير من الكتّاب والقرّاء بمصداقيّتها). لم تلفت الروايةُ انتباهي في البداية بقدر ما لفت انتباهي حصولُ الكاتبة على جائزة مان بوكر بالشراكة مع مترجمتها إلى الانكليزيّة ديبورا سميث، حيث تقاسمتا شيكًا بقيمة 50 ألف جنيه إسترليني. كانت تلك المبادرة حركة لافتة فعلاً وغير مسبوقة بالنسبة إلى «البوكر». إنّها اعتراف بدور الترجمة في تحويل أدبٍ موغلٍ في محليّته إلى أدب مقروء في كونيّته. وهي إقرار بقدرة الترجمة على إيصال عملٍ ضيفٍ إلى لغة الاستضافة بالشكل الذي يجعل إبداعيّته تفرض نفسها على قرّائه الجدد من دون أن يفقد شيئًا من خصوصيّته. لماذا لم تفعل جائزة نوبل الشيء نفسه؟ ... قرأتُ لهان كانغ بعد ذلك أعمالاً لها مترجمة إلى الفرنسيّة، ثمّ قرأت بعض ترجماتها إلى العربيّة (منشورات دار التنوير). وها هي تفوز بـ«نوبل للآداب» لهذا العام (2024)، فيعود إلى ذهني مباشرة السؤال إيّاه: كيف قرأ أعضاءُ الأكاديميّة السويدية «محليّةَ» هذه الكاتبة؟ أيّ الترجمات أفلح في إقناعهم بأدبيّتها العابرة للمحليّات؟ وأيّ المترجمين عبر بتلك المحليّة إلى آفاق الكونيّة من دون أن يخطب ودّ ثقافات الاستضافة الترجميّة؟

كان من الجدير بجائزة في أهميّة «نوبل» أن تهتمّ بالمترجمين، خصوصاً مع أعمال «غير غربيّة» لا تقرأها اللجان مباشرة في اللغات التي كُتبت بها. هل كان أعضاء لجنة الجائزة ينتبهون إلى شعريّة هان كانغ مثَلاً، وإلى تفاصيل نثرها الشعري المكثّف الذي يواجه التروما التاريخية ويكشف «هشاشة الحياة البشرية» لولا قدرة الترجمة على العبور بالتجربة؟ هل كانوا ينفذون إلى شفافيّة اللغة لديها وإلى «أسلوبها الشعري التجريبي الذي اعتبرت بسببه مُجدّدة في مجال النثر المعاصر» لولا قدرة الترجمة على إعادة إنتاج ذلك الأسلوب وتأصيل تجريبيّته المبتكرة في لغته الجديدة؟ سؤال يهمّ أدبنا العربيّ المتحسّر على أيقوناته في مثل هذا الموعد من كلّ عام، متّهماً «الآخر» بالعمَى الأدبيّ. ألا تكون العلّة في الترجمة؟ ألا يكون أدبنا العربيّ في حاجةٍ إلى مترجمين مبدعين، يقفون من روائعنا الأدبيّة موقف بودلير من إدغار آلان بو؟ أو موقف ديبورا سميث من هان كانغ؟

أغلب الظنّ أنّ معظم روائعنا الأدبيّة «المترجمة» لم يُترجم بعد. السبب أنّهُ ضحيّة لوبياتٍ من حول مراكز ومؤسّسات تدّعي ترجمة الأدب الوطنيّ إلى لغات العالم لتتمخّض في النهاية عن: عرب يُترجمون لعرب كُتباً عربيّة تُنشَر في الأغلب الغالب عربيّاً وتُعرَض على اللا قرّاء العرب قبل أن توضع في المخازن العربيّة! هكذا نتصوّر أنّنا «ننتصر» لأدبنا! نتوهّم أنّ من الممكن تطبيق الحكمة «ما حكّ جلدك مثل ظفرك» على الترجمة وعلى الجائزة نفسها: جائزة عربيّة تعوّض «نوبل»! ولعلّنا نطبّق ذلك على الفوتبول أيضاً: بطولة «عالميّة» لا نتنافس فيها مع العالم. هكذا نضمن الفوز! لم يُبذَل أيُّ جهدٍ حقيقيّ كي يُصبح أدبُنا بُغيَةَ المترجم والناشر في لغة الاستضافة. لم يعد النصّ يتيماً إلى أن يُتَرجَم كما قال دريدا، بل أصبح يُتَرجَمُ فيتيتّم. باتت نُصوصُنا تتطفّل على اللغات الأخرى بحثاً عن أبٍ لم يطلبها ولا يُريدُها. ساد التكالبُ على افتعال التَرجمةِ، فإذا آثارُنا تدعو نفسَها بنفسِها إلى مختلف اللغات الأجنبيّة، ولا يهمّها أن تبدو ضيفاً ثقيل الظلّ، أو أن تصل مشوّهة عرجاء عاجزةً عن الحضور اللائق بجودتها.

> باتت نُصوصُنا تتطفّل على اللغات الأخرى بحثاً عن أب لم يطلبها ولا يُريدُها. ساد التكالبُ على افتعال الترجمةِ

يتقاسم الجميعُ رغبةً عُصابيّة في العُبور إلى المُستقبل من خلال أبوابٍ نتَوَهّمُ أنّها أبواب الخلود. لكنّ الخلود حكايات أخرى وأبواب موجودة دائماً في مكان آخر. ألا يكون من حسنات جائزة نوبل للآداب هذه السنة، وهي تذهب إلى كوريّة جنوبية، أي إلى لغة لم تنتظرها كي تعبر من قرنٍ إلى آخر، ألا يكون من حسناتها تذكيرنا بأنّ للمستقبل باباً واحداً هو الإبداع؟

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**